الإستطراد وتسييد الهامش
في كتاب الحيوان للجاحظ

الأستاذ الدكتور
ناجح سالم موسى المهنا
جامعة البصرة / كلية الآداب

الملخص:-

أعلن الجاحظ في أكثر من موضع من كتبه ورسائله أنَّه يأتي بالإستطراد منتقلا من الجدِّ الى غيره محاولةً منه جذب انتباه القاريء وتنشيطه ليتابع القراءة، فالهدف الرئيس الذي يُعلنُه الجاحظُ من توظيفه ذلك هو استمالة القارئ اليه، إلَّا أنّ الباحث في هذه الورقة يقف عند أهداف مضمرة لم يعلنها الجاحظ بشكل مباشر لأسباب قد تتعلق بظروف عصره السياسية او الثقافية، فقد عُرف العصر العباسي بسيطرة ثقافات متعددة الى جنب الثقافة العربية الاسلامية، وقد جاءت تلك الثقافات متزاحمة مع الثقافة العربية الاسلامية وتحاول تثبيت نفسها بوصفها ثقافة جديدة تقوم على موروث ثقافي غير الموروث العربي الاسلامي وهذا عينه ما حاول الجاحظ محاربته في كتابه الحيوان عندما جعل من الحيوان مسوِّغا للإنتقال إلى الموضوع الرئيس الذي هو موضوع الإنسان وكل ما يتصل به من ثقافة ومعارف ومنظومة فكرية، فالحيوان الذي يمثل المركز في كتاب الحيوان، من خلال إحتلاله الصدارة بوصفه العنوان والعتبة الأولى التي يدخل القاريء من خلالها الى موضوع الكتاب، فهذا المتصدر يتحول إلى هامش بينما يرتفع الجاحظُ بالإنسان وما يتصل به إلى مستوى المتن في الكتاب ويحلَّه في المركز من الإهتمام. وقف البحث عند محاولة الجاحظ توظيف الاستطراد لتفكيك المنظومة الفكرية التي يتكيء عليها الشعرُ الجاهليُّ بما يحملُهُ من سلوكيات منحرفة، كما وقف عند دعوته الى تصنيف الكتب باللسان العربي نثراً، والإبتعاد عن الكتب ذات اللسان غير العربي، من خلال تقديم المبررات التي تجعل الترجمة غير مؤهلة لنقل المعارف من لغة الى لغة اخرى، كما وقف البحث عند الاستطراد من خلال الفكاهة والهزل، ومحاولة معرفة الاهداف من وراء المجيء بتلك الفكاهات.

الكلمات المفتاحية : (الإستطراد، الهامش، الجاحظ، كتاب، الحيوان)

Digression and Dominant margin In al-jahizs' kitab al-haiwan

Prof. Dr Najih Salim Mousa ALmihanna (ph.D)
University of Basrah / College of Arts

Abstract:

It is well known that Abu Osman Amr ibn Bahr bin Mahbub al-Jahiz is a unique literary and intellectual scholar in the history of classical Arabic literature and culture. Although, scholars' interest in researching al-Jahiz's works and publications has been growing in recent years, some areas have been left in al-Jahiz's authorship which require more investigations. This paper claims that the phenomenon of digression was not used to pay the boredom of the reader, but it is used as a tool to hide something, which was not allowed to say it at that time. *Kitab Al-hayawan* is selected to achieve this target. It has been remarked that *Kitab Al-hayawan* is an encyclopedia of seven volume of anecdotes, poetic descriptions and proverbs. So, it is hard to say that this study will cover the whole book, but some samples may show the real act of new reading.

Key wordes
(**Digression,** Dominant**,** Jahizs' kitab**,** Al-haiwan)

المقدمة:-

مما لا يخفى على المُطَّلع ما يشكِّله أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظُ من ظاهرة أدبية وفكرية فريدة من نوعها في تاريخ الأدب العربي القديم، إذ لا يكاد الدارسون والباحثون بإختلاف توجهاتهم الفكرية ومناهجهم ينتهون من دراسةِ جانبٍ من جوانبِ أدبِهِ ويحسبون أنَّهم قد أمسكوا بزمام الأمر إلاّ ويجدون أنفسهم لم يخرجوا من تلك الدراسةِ إلاّ بمقدار لؤلؤة صغيرةٍ من أعماق بحر عميق مليء بالكنوز التي لا تُقدر بثمن، وكأنّ اسم البحر جاء موافقاً لما يتصف به أدبه من أسرار تحتاج مَنْ يغوص عميقاً ليستخرجها، فالجاحظ لا تنجح معه غيرُ الدراسةِ المتأملةِ، التي لا تقبل بظاهر الأمور، لذلك جاءت هذه القراءة بوصفها محاولة تأملٍ في ما يحتويه بحرُ الجاحظِ من أسرار، وقد استوقفَتْ الباحثَ ظاهرةٌ عُرف بها أدبُ الجاحظ هي ظاهرةُ الإستطراد، وقد اعتاد الدارسون أن يقبلوا هذه الظاهرة قبولاً يراه الباحثُ سطحياً نوعاً ما عندما تعلقوا بتفسيرٍ يُردِدُه اللاحقُ عن السَّابقِ هو أنَّ الجاحظَ يأتي بالإستطراد على اختلاف أنواعة من أجل أنْ يدفع السأم عن قارئه، ولا يخفى أنَّ ما شجَّع الباحثين أو الدارسين على التمسك بهذا التفسير هو أنَّ الجاحظ نفسَه قد ردده في طيات أدبه وهو ما جعل الدارسين يطمئنون إلى تفسيرهم ذاك، أمَّا هذا الدراسةُ أو الأحرى بها أن نصفها بالقراءة فقد وقفتْ عند هذه الظاهرةِ التي هي الإستطراد محاولةً إيجاد تفسيرٍ لها غير ما تلقفه الباحثون أو الدارسون من الجاحظ نفسه واطمئنوا اليه. وهو ما سيتَّضح من خلال قراءتنا لكتابِ الحيوان بوصفه نموذجاً ارتكزَ الجاحظُ في تأليفه على تلك الظاهرة.

إحتيال اللغة:

جاء في لسان العرب:((والفارسُ يستطردُ ليحملَ عليه قِرنُه ثم يَكُرُّ عليه، وذلك أنَّه يتحيَّزُ في استطراده الى فئته وهو ينتهزُ الفُرصة لمطاردته، وقد استطردَ له، وذلك ضربٌ من المكيدة))[1] وتأسيساً على المعنى اللغوي هذا يمكن أنْ نفسِّر حديث الحُصري في كتابه زهر الآداب حول الاستطراد حيث يقول:((وذلك أنَّ الفارس يُظهر أنَّه يستطرد لشيء

ويُبطن غيرَه ، فيكرُّ عليه، وكذلك هذا الشاعر يُظهرُ أنَّه يذهبُ لمعنى فيعنُّ له آخر فيأتي به، كأنَّه على غير قصدٍ، وعليه بناه، وإليه كان مَعزاه)).[٢]

ومنه ما يورده الحصري:((قال الأصمعي: كنتُ عند الرشيد فدخل عليه إسحاق بن إبراهيم الموصلي فقال: إنشدني من شعرك، فأنشده:

وآمرةٍ بالبُخل قلتُ لها: اقصري فليس الى ما تأمرين سبيلُ
أرى الناسَ خلاَّنَ الجوادِ، ولا ارى بخيلاً له في العالمين خليلُ
ومِنْ خير حالات الفتى لو علمتِه اذا نال شيئاً أن يكون منيل
فَعالي فعالُ المُكثرين تجملاً ومالي كما قد تعلمين قليلُ
وكيف أخاف الفقر أو أُحرم الغنى ورأيُ أمير المؤمنين جميلُ

فقال الرشيد: يا فضل، أعطه عشرين ألف درهم. ثم قال: لله أبيات تأتينا بها يا إسحاق ما أتقن أصولها، وأبين فصولها. وأقلَّ فضولها، فقال: والله يا أمير المؤمنين، لا قبلتُ منها درهماً واحداً. قال: ولم؟ قال: لأن كلامك، والله خيرٌ من شعري. فقال: يا فضل، إدفع إليه أربعين ألفا. قال الاصمعي: فعلمتُ أنَّه أصيد لدراهم الملوك مني)).[٣] يتضح من خلال الابيات الاولى التي أوردها الخبر أنَّ الشاعر يلوم من تأمره بالبخل، وليس ببعيد أنْ تكون هذه الخصومة حول العطاء بينه وبين مَن يلومها خصومةٌ مفتعلة، اذ لا وجود للمرأة، إنَّما هي أداة فنية يصطنعها الشاعر لبناء قصيدته على الحوار، وليفضِّل سبيل الجود والكرم على سبيل البخل، إلاَّ أنَّ الشاعر يميل عن هذا المعنى وينعطف الى غيره، وهذا ما يتبين في البيتين الاخيرين، فهو يصرّح أنَّ مالَه قليل:(ومالي كما تعلمين قليلُ). ويأتي في البيت الاخير ليتحول فيه من ذلك الرجل الذي أوهمنا بغناه وكرمه وحبه للإنفاق إلى رجل يتصيد دراهم الملوك كما يعبر الاصمعي عنه:

وكيف أخافُ الفقرَ أو أُحرم الغنى ورأيُ أمير المؤمنين جميلُ

فهو هنا ذهب إلى معنى فعنَّ له آخر فأتى به، كأنَّه على غير قصد منه .

وفي ضوء هذا الفهم للإستطراد نحاول أنْ نُفسِّر إعلان الجاحظ في مواضع كثيرة من كُتبه ورسائله ميلَه إلى الانتقال الدائم من فن الى آخر ويبرر ذلك بمحاولة تنشيط القارئ

ودفع السأم عنه، فهل نستطيع أنْ نوافق الجاحظ فيما يدَّعيه؟ فقد جاء في رسالته إلى أحمد بن عبد الوهاب قولُه يُفسِّر فيه علةَ الإستطراد:((جُعلتُ فداك، إنَّما أُخرجُكَ من شيءٍ الى شيء، وأورد عليك الباب بعد الباب، لأنَّ من شأن الناس ملالة الكثير واستثقال الطويل وإنْ كثرت محاسنه وجمعت فوائده،(...)، واستزادة من نشاطك. ولأنَّكَ على كلِّ حالٍ بشر)).[٤] ويقول في كتاب الحيوان:((وعلى أنّي قد عزمتُ - واللهُ الموفقُ - أنْ أوشّحَ هذا الكتابَ وأُفصِّلُ أبوابه بنوادرَ من ضروب الشعر، وضروب الأحاديث، ليخرج قارئُ هذا الكتاب من بابٍ إلى باب، ومن شكلٍ إلى شكل؛ فإنّي رأيتُ الأسماعَ تملُّ الأصواتَ المطْرِبَة والأغانيَّ الحسنة والأوتارَ الفَصيحة، إذا طال ذلك عليها، وما ذلك إلاَّ في طريق الراحة، التي إذا طالتْ أورثتْ الغفلةَ. وإذا كانت الأَوائلُ قد سارتْ في صغارِ الكتب هذه السِّيرةَ، كان هذا التَّدبيرُ لِمَا طالَ وكثُر أصلَحَ، وما غايتنا مِن ذلك كلِّه إلاَّ أنْ تَستَفيدُوا خيراً. وقال أبو الدَّرداء: إنّي لأُجمُّ نفسي ببَعْض الباطل، كراهةَ أنْ أحمِل عليها من الحق ما يملُّها!)).[٥]ويكثر الجاحظ من الإشارة إلى أنَّه يأتي بالهزل والملح والنوادر لإيناس القارئ ولإبعاد الملل عنه وبذلك قال:((وإن كنَّا قد أمَلْلناك بالجِدِّ وبالاحتجاجاتِ الصحيحة والمرَوَّجة* لتكثُّر الخواطر، وتشحَذَ العقول - فإنّا سننشِّطكَ ببعض البَطالات، وبذكر العلل الظَّريفة، والاحتجاجاتِ الغريبة؛ فربَّ شعرٍ يبلُغُ بفَرْطِ غباوةِ صاحبه من السرور والضحك والاستطراف، ما لا يبلغه حشدُ أحرِّ النواد، وأجمَعِ المعاني))[٦]وهذه الأقوال للجاحظ تشير إلى أنَّه يتوخى الإمتاع والمؤانسة من خلال الإنتقال بالقارئ بين فنون القول من فنٍ الى آخر. وهي في الوقت نفسه تثير لدينا سؤالاً عن موضع كلِّ فنٍ من تلك الفنون التي ينتقل بينها في كتبه، مَنْ هو المتنُ منها ومَنْ هو الهامشُ؟ فضلاً عن سؤالٍ آخر هو: ألا يستطيع الجاحظ أنْ يأتي بالجدِّ وحدَهُ دون أنْ يمزجه بالهزل ودون أنْ يلجأ إلى تبرير ذلك المزج بين الجدِّ والهزل ؟ وهو سؤالٌ نجد الإجابة عليه عندما نطالعُ الموضوعات العقائدية والملل والنحل تلك التي عالجتها رسائلُ الجاحظ في غير كتاب الحيوان أو البيان والتبيين. وهذا يعني أنَّه يلجأ إلى الإستطراد قصداً منه إليه، خاصة في كتابه الحيوان والبيان والتبيين، وليس حتما أنْ يكون الإستطراد لدى الجاحظ إنتقالاً من الجد

الى الهزل. إلاَّ انَّ الجاحظ نفسه يركز على الانتقال من الجدِّ إلى الهزل والفكاهات والمُلح وهو ما يدعونا إلى التركيز عليه هنا في كتاب الحيوان.

يقول الجاحظ عن كتابه الحيوان: ((على أنَّهُ كتابٌ معناه أنبهُ من إسمه، وحقيقته آنقُ من لفظه))،[٧] فهل يرنو الجاحظ إلى شيءٍ في كتابه الحيوان أبعد من تطرقه إلى موضوعة الحيوان؟ وهل يريد أنْ نؤمنَ بحقيقةٍ يحملها الكتابُ أبعد مما يحملها لفظهُ، أيْ، أبعد مما يوحي به ظاهرُ اللفظ من الأخبار والحكايات التي يوردها؟

الإستطراد وآفة الشعر الجاهلي:

علينا أنْ نتأمل في المقدمة التي استهل بها الجاحظُ كتابَه الحيوانَ لنلاحظ أنَّها حملتْ هدفاً رئيساً حاول الجاحظ تحقيقه يتمثل بضرورة إعلاء شأن تأليف الكتب لدى العرب وحضهم على الإقبال عليه، فهو ضرورة قصوى يجب على العرب الإستجابة لها، ولجأ الجاحظ إلى تقديم مادته المعرفية من خلال توجيه الخطاب نحو شخصية لم يُسمِّها: ((جنَّبك اللهُ الشُّبهة، وعصمَك من الحيرة، وجعل بينك وبين المعرفة نسباً، وبين الصدق سبباً، وحبب إليك التثبُّتَ، وزيَّنَ في عينك الإنصاف وأذاقك حلاوة التقوى)).[٨]ونجد أنَّه يبقى يخاطبها بضمير المخاطب على مدى الكتاب كلِّه وهذا ما يجعل الكتاب خطابا واحداً متصلاً.

ويستمر الجاحظ يعدد لمخاطبه أسماء تلك الكتب التي عابه على تأليفها، ومن الملاحظ أنَّها كثيرة جداً وهي في الوقت نفسه دليل على أنَّ الجاحظ يستطيعُ الكتابة في موضوعات محددة، نجده يقول:((عبتني بكتاب حيل اللصوص (...) وغشِّ الصناعات، وعبتني بكتاب المُلح والطُّرف،(...) وعبتني بكتاب الصُّرحاء والهجناء ،(...) وعبتني بكتاب القحطانية والعدنانية(...) وعبتني بكتاب الاصنام(...) وعبتني بكتاب المعادن(...) وعبتَ كتابي في خلق القران)).[٩]ويحاول الجاحظ أنْ يختصر ذلك كلِّه بقوله:((ثم عبت جملة كتبي في المعرفة، والتمستَ تهجينها بكلِّ حيلة، وصغَّرتَ من شأنها، وحططتَ من قدرها، واعترضتَ على ناسخيها والمنتفعين بها(...) ثم قصدتَ إلى كتابي هذا بالتصغير لقدره)).[١٠]ويقدم الجاحظ سبباً لتمادي خصمه بقوله:((وما أشكُّ أنَّك قد جعلت طول

إعراضنا عنك مطية لك، ووجهتَ حِلمنا عنك إلى الخوف منك(...) ولو شئتَ أنْ نعارضك لعارضناك في القول بما هو أقبح أثراً وأبقى وسماً، وأصدقُ قيلاً، وأعدل شاهداً)).[١١] وهذا الخطاب الموجَّه من الجاحظ إلى خصمه قد يُوهم القارئ بداية الأمر بأنَّ الغاية الأساس منه هي التهديد والوعيد إلَّا أنَّ الجاحظ يأخذ بيد القارئ دون أنْ يشعر ليجد نفسه داخلاً في موضوع الحيوان بانتقالةٍ غير مُعلنةٍ، فبين الموضوعين خيطٌ رفيعٌ جداً أحكمَ الجاحظ إخفاءه عن أعين القُرَّاء، وكان ذلك عندما قال: ((فالذي لم يأخذ فينا بحكم القرآن ولا بآداب الرسول عليه الصلاة والسلام (...) أولى بالإساءة وأحقُّ باللائمة، قال الله عزَّ وجلَّ(ولا تزِرُ وازةٌ وِزرَ أخرى))).[١٢] ليأتي بعد هذا إلى الدخول في موضوع آخر يكون ذكرُ الحيوان وسيلة الجاحظ إليه بقوله: ((وكانوا اذا أصاب إبلهم العرّ كووا السليمَ ليدفعَه عن السقيم، فاسقموا الصحيحَ من غير أنْ يبرئوا السقيم. وكانوا إذا كثُرتْ إبلُ أحدهم فبلغتْ الألف، فقئوا عينَ الفحل)).[١٣]

بهذا اليسر يخرج الجاحظ من موضوعه الأول وهو مواجهةُ مخاطبه ومحاولةُ دفع هجومه على كتب الجاحظ، ليدخل في موضوع آخر ليس منفصلاً عنه. وهو نتاج وفيضٌ من قوله تعالى: (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ)[١٤] وهي نفسها آداب رسول الله عليه الصلاة والسلام، فنجد الجاحظ يأتي بمورث العرب الشعري الذي تنقلب فيه قاعدة(لا تزرُ وازرةٌ وزرَ أُخرى)، إلى قاعدة: (رمتني بدائها وانسلت)[١٥]فالشعر العربي الذي يأتي به الجاحظُ يضرب هذه القاعدة الإلهية الإسلامية النبوية المحمدية، إذ يحضُّ بذلك على أخذ البرئ بجريرة المسئ، وأخذ الإنسان البريء بذنب غيره ((كقول النابغة حيث يقول في شعره:

وكلَّفتَني ذنبَ أمرئٍ وتركتَه كذِي العُرِّ يُكوى غيره وهو راتِعُ

وكانوا إذا أصاب إبلهم العرّ كووا السليم ليدفعَه عن السقيم، فاسقموا الصحيحَ من غير أنْ يبرئوا السقيم(...) وكانوا إذا أرادوا البقرَ أنْ تشرب، إمَّا لكَدَر الماء، أو لقلة العطَش، ضربوا الثورَ ليقتحمَ الماء، لانَّ البقرَ تتبعه كما تتبع الشَّوّلُ الفحل، وكما تتبع أُتُنُ الوحش الحمار)).[١٦]

((وقال في ذلك أَنَسُ بنُ مُدْرِكة في قتله سُلَيك بنَ السُّلَكَة:

إنّي وقَتْلي سُلَيْكاً ثمَّ أعْقِلهُ كالثَّورِ يُضرَب لمَّا عافَتِ البَقَرُ))[١٧]

((وقال نَهْشَلُ بنُ حَرّيّ:

أتُتْرَكُ عارضٌ وبنو عَدِيّ وتَغْرَمَ دارِمٌ وهُم بَرَاءُ

كدأبِ الثَّوْرِ يُضْرَبُ بالهَراوى إذا مَا عَافَتِ البَقَرُ الظِّمَاءُ

وكيف تكلّفُ الشِّعرَى سُهيلاً وبينَهما الكواكبُ والسَّماء))[١٨]

((وقال خِداشُ بنُ زُهير حين أُخذ بدماء بني محارب:

أُكلّفُ قَتْلَى مَعْشر لستُ مِنهمُ ولا دارُهُمْ داري ولا نصرُهُم نَصْرِي))[١٩]

((وقال اخر:

إذا عَرَكتْ عجلٌ بنا ذنبَ طيّءٍ عركنا بتيمِ اللاتِ ذنبَ بني عِجْلِ))[٢٠]

وقال:((ولما وجدَ اليهودي أخا حنبض الضبابيّ في منزله فخصاه فمات، وأخذ حنبض بني عبسٍ بجناية اليهوديّ، قال قيس بن زهير: أتأخذُنا بذنبِ غيرنا، وتسألنا العقلَ والقاتلُ يهوديٌّ من أهل تيماء؟ قال: والله أنْ لو قتلته الريحُ، لوديتُمُوه)).[٢١] ما نلاحظه هنا هو أنَّنا أمام الإستطراد، إذ أنَّ الجاحظَ في الوقت الذي يتكلم فيه عن خصمه وتربصه له ينتقل بالقارئ محتالاً عليه بذكر الحيوان ليعرض موضوعاً ويفتح ملفاً سلوكيا وعرفاً جاهلياً، ويستخرجه من بين ثنايا الشعر العربي ويسلط عليه أضواءَهُ الكاشفة دون أنْ يُصرّحَ بذلك بموضوعٍ مستقلٍ تاركاً للقارئ فهمَ المغزى من وراء المجيء به. وأيُّ شيءٍ أدلُّ على انحراف ذلك السلوك الجاهلي من المجيء بخبر قتل لقمان بن عاد لنسائه وابنته، يقول الجاحظُ :((ولما قتل لقمانُ بنُ عاد إبنته - وهي صُحْرُ أُختُ لُقيم - قال حين قتلها: ألستِ امرأة. وذلك أنَّه قد تزوج عدةَ نساء، كلُّهنَّ خُنَّهُ في أنفُسهنَّ، فلما قتل أُخراهنَّ ونزل الجبل، كان أوَّلَ من تلقَّاه صُحْر إبنتُه، فوثبَ عليها فقتلها، وقال: وأنتِ أيضاً إمرأة، فضربتْ العربُ في ذلك المثلَ بقتل لقمان ابنتَه صُحراً، فقال خُفافُ بنُ ندبة في ذلك:

وعيَّاشٍ يُدِبُّ لي المنايا وما أذنبتُ إلا ذنْبَ صُحر))[٢٢]

فالجاحظ يتحايل على القارئ ويوهمُهُ أولاً أنَّه يُدافع عن نفسه ويدفعُ عنها تلك الإتهامات التي تلقاها من خصمه، وبعد ذلك نجده ينتقل بقارئِهِ إلى موضوعِ الدفاع عن كتابه، ليستدرجه رويداً رويداً إلى ضرورة تركِ كتب الأخرين من غير اللسان العربي واللجوء بدلاً عن ذلك إلى تأليف الكتب العربية، وينتقل بعد ذلك إنتقالاً غير ملحوظٍ إلى فضح ذلك العُرف الجاهلي الذي يأخذ البريءَ بذنب غيره، تماشياً مع المثل الذي يقول: (أصابتني بدائها وانسلت). وهو عُرفٌ أو حكمٌ بعيدٌ عن التوجيه الإلهي وبعيدٌ عن آداب رسول الله صلى الله عليه وآله عندما يقول:((لا تجنِ يمينُك على شمالِك)).[٢٣] ويؤكد الجاحظ هذا الحكمَ الذي يجب أنْ يحلَّ محلَّ الأول وينسخُهُ فهو((حكم الله تعالى، وآداب رسوله والذي أُنزلَ به الكتابُ ودلَّ عليه من حجج العقول)).[٢٤] ونحن بهذا نجد الجاحظَ يمارسُ فنَ الإستطرادِ، بحسب المفهوم الذي قدَّمَهُ إبنُ منظورٍ له وقد ذكرناه حينما قال:((والفارسُ يستطردُ ليحملَ عليه قِرنُه ثم يَكُرُّ عليه(...)، وذلك ضربٌ من المكيدة))،[٢٥] فالجاحظُ يُمارسُ فنَ الإستطراد أو ما أحبُّ أنْ أسميه هنا بـ (فن المكيدة) مع قارئه ليوصِل إليه - من خلال التحايل على الموضوع المُعلنِ الذي يُفترض أنْ يسيرَ عليه الكتابُ ويكوّن متنَه الأساسَ، يوصل إليه - ما فيه سخرية ونقدٌ وكشفٌ لأعرافٍ وسلوكياتٍ حملها الشعرُ الجاهلي وبقيت مترسبةً في الوجدان العربي. وهذا ما يؤكده الجاحظ حينما يورد ما يُثبت أثرَ تلك الأعراف والسلوكيات الجاهلية في المسلمين، يقول الجاحظ:((وجاء المسلمون، يروي خلفٌ عن سلف، وتابعٌ عن سابق، وآخرُ عن أوَّل، أنَّهم لم يختلفوا في قول زياد**: (لآخذنَّ الوليَّ بالوليِّ، والسميّ بالسمي، والجارَ بالجارِ، ولم يختلفوا في لعن شاعرهم حيث يقول:

إذا أُخذ البرئ بغيرِ ذنبٍ تجنَّبَ ما يُحاذِرُهُ السقيمُ

قال: وقيل لِعَمرو بن عُبيد: إنَّ فلاناً لما قدَّم رجلاً ليضربَ عُنُقه، فقيل له: إنَّه مجنون. فقال لولا أنَّ المجنون يلدُ عاقلاً لخليت سبيله. قال: فقال عَمرْو: ما خلق الله النَّارَ إلاّ بالحق)).[٢٦]

فأيّ أعرافٍ تلك وأيّ سلوكيات منحرفة احتفظ بها الشعرُ العربيُّ، ولم يجد من ينقدها ويكشفها ويفضح إنحرافَها؟ وكأنَّ الجاحظَ في كتاب الحيوان يحاول أنْ يؤسس لمعرفة جديدة مبنية على أسس أخلاقية إسلامية، وهو يعتمد في تحقيق ذلك على تنقية التراث العربي بشكل عام أخباراً وأشعاراً ويأخذ الشعرُ هنا النصيبَ الأوفرَ، فدعوة الجاحظ العربَ إلى التصنيف أو التأليف هي دعوة يكمن وراءها مشروعٌ لبناء أسس أخلاقية إنسانية حميدة توافق التوجيه الإلهي والنبوي متزودة من القرآن الكريم ومِنْ آداب الرسول الكريم (صلى الله عليه واله وسلم).

ومن اللطيف أنَّ الجاحظ بعد هذا الكشف المعرفي لذلك الإنحراف الذي يُروِّج له الشعرُ الجاهليُّ يعودُ إلى توجيه خطابه إلى ذلك الشخص الذي لم يُعلن إسمه، ذلك الشخص الذي تربص به وانتقد كلَّ كتابٍ ألّفه، قائلاً له:((فبهذه السيرةِ سرتَ فينا. وما أحسنَ ما قال سعيدُ بنُ عبدِ الرحمن:

وإنَّ امرأً أمسى وأصبح سالماً من النَّاس إلا ما جنى لسعيدُ)).[٢٧]

والجاحظ يريد بقوله ذلك السيرةَ الجاهليةَ.

وهنا يمكن القول إنَّ الجاحظ حاول في كتابه الحيوان هذا محاربة ما يحمله الشعر الجاهلي من سلوكيات منحرفة وأعرافٍ بعيدةٍ عن تعاليم الإسلام حاولت حركةُ تدوين تراثِ العربِ الشعري الحفاظَ عليها وترويجها ، وحول هذا الموضوع نجد الدكتور محمد عابد الجابري يقول:((لا نكونُ مبالغين إذا قُلنا إنَّ العرب كانوا في عهد أبي بكر وعمر على الأقل، يحاربون صورة الماضي في وعيهم بكل عنف وبمختلف آليات الكبت المعروفة، إنَّ ما قبل الاسلام، بالنسبة لهم كان يمثل (ما قبل التأريخ) تأريخهم ... غير أنَّ هذا الرفض الشامل للعصر الجاهلي لم يكن ليستمر طويلاً ... فبدأت عملية إحياء الماضي، ووجدت(الحمية الجاهلية) المكبوتة متنفساً لها واسترجعت كامل حريتها والنتيجة: إعادة بناء (الماضي الجاهلي) بالشكل الذي يستجيب لمتطلبات الحاضر الإسلامي. وما دام الطريق الى الماضي هو الذاكرة فلا شيء يمنعها - أي الذاكرة - من أنْ تنتقي وتختزل وتستعين بالخيال، وخصوصاً والحياة في الماضي الجاهلي كانت منغلقه على نفسها الشيء الذي

يعني انه لا يمكن الطعن فيما يروى عنها إلّا بواسطة حياة مثلها))[٢٨] **وهذا يعني أنَّ الجاحظ حاول في كتابه الحيوان أنْ يحارب صورة الماضي الجاهلي الذي أقدمتْ عملية التدوين على إحيائه وإحياء الحميَّة الجاهلية معه.** إنَّ عملية التدوين ((كانت في الحقيقة عملية إعادة بناء ذلك الموروث الثقافي بالشكل الذي يجعل منه تراثاً: أي إطاراً مرجعياً لنظرة العربي إلى الأشياء ، إلى الكون والإنسان والمجتمع والتاريخ))[٢٩]

فالجاحظ يحاول أنْ يمنع العقل العربي من أنْ يتشكل ((في ترابط مع العصر الجاهلي بوصفه زمناً ثقافياً تمت استعادته وتم ترتيبه وتنظيمه في عصر التدوين الذي يفرض نفسه تاريخياً كإطارٍ مرجعيٍّ لما قبله وما بعده))،[٣٠] ففي العصر العباسي بدأ مشروع التدوين، وكوَّن الشعر الجاهلي والمعارف التي تم تدوينها متن الثقافة العربية الاسلامية، التي صاحبتها الثقافات المجاورة الفارسية واليونانية وهما معا يقومان على ثقافة تراتبية ذات هرم فحولي يستند على الذات المفردة المستبدة المطلقة، وعلى القطع بأولوية المعلم الأول وتبعية اللاحق والتعالي على الآخر وعلى كون من عدا الذات هامشياً لا قيمة له. يتمثل ذلك في جمهورية إفلاطون التي هي قانون طبقي استبدادي وقطعي صارم في قطعيته وطبقيته. ويتمثل أيضا في المعطى الفارسي الهندي الذي تقدمه نقولات وترجمات إبن المقفع في الأدب الكبير والأدب الصغير، وفي (كليلة ودمنة)، هذه هي الجذور التي شكلت المتن الثقافي مع فاتحة العصر العباسي، وترسخت معها القيم الثقافية المشكلة للمتن[٣١]

وهنا لابد من ملاحظة أنَّ اتجاه ابن المقفع، الفارسي الأصول، الذي شك معاصروه في (حسن إسلامه) إلى التأليف في الأدبيات السياسية لا يمكن أن يكون مجرد مصادفة، والحق أنَّ مما يلفت النظر في كتاباته هو طابعها (العلماني)، بمفهومها الذي يقدمه الدكتور الجابري في هامشه، فابن المقفع، بتعبير الجابري، لا يستشهد لا بالقرآن ولا بالحديث ولا بأيِّ عنصر آخر من الموروث الاسلامي، بل على العكس يدعو صراحة الى الأخذ من (الموروث القديم) السابق للإسلام. وهنا يتساءل الدكتور محمد عابد الجابري: ألا يكون عمل إبن المقفع مظهراً من مظاهر استراتيجية عامة كانت تهدف الى تأسيس

الثقافة في المجتمع الجديد، مجتمع الدولة العباسية، الفارسية - العربية، على موروث ثقافي غير الموروث العربي الإسلامي؟[٣٢] وقد تكون هذه المخاوف هي ما كانت تؤرّق الجاحظ وجعلته يحاول جاهداً التنبيه على ضرورة الحذر من قبول ترجمات ابن المقفع بوصف هذا الفعل يمثل خطوةً نحو التشكيك بأدبياته بشكل عام.

فتأسيس ثقافة جديدة على موروث ثقافي غير الموروث العربي الاسلامي هو عينه ما حاول الجاحظ محاربته في كتابه الحيوان عندما جعل من الحيوان مسوّغا للإنتقال منه إلى الموضوع الرئيس الذي هو موضوع الإنسان وكل ما يتصل به من ثقافة ومعارف ومنظومة فكرية، فالحيوان الذي يمثل المركز في كتاب الحيوان، من خلال احتلاله الصدارة بوصفه العنوان والعتبة الأولى التي يدخل القاريء من خلالها الى موضوع الكتاب، فهذا المتصدر يتحول إلى هامش بينما يرتفع الجاحظُ بالإنسان وما يتصل به إلى مستوى المتن في الكتاب ويحلّه في المركز من الإهتمام. وليس هذا غريباً على الجاحظ في مؤلفاته التي جاءت لتمثل الفعل المعرفي المعارض لثقافة العصر العباسي، ذلك الفعل المعرفي الذي يُعلي الهامش ويعطيه الفرصة ليكون مركزاً ومتناً في مقابل المتن الذي يمثل الثقافة المؤسساتية المهيمنة في العصر العباسي، فالأعراب والجواري والنساء والسودان والبرصان، كل هذه عناوين تدل على الهامش وقد إهتم الجاحظ بها، وخصص لها مجالا واسعا في مؤلفاته ، فالجاحظ إهتم في مؤلفاته بكل ما هو هامشيٌّ ومنسيٌّ،[٣٣] فقد جاء في كتاب الحيوان:((ولانّ الكلبَ ليس بسبع تام، ولا بهيمة تامة، حتى كأنَّه من الخلْق المركَّب والطبائع الملفَّقة، والأخلاط المجتلبة، كالبغل المتلِّون في أخلاقه، الكثير العيوب المتولِّدة عن مزاجه))[٣٤]فسياق الكلام هنا يدور حول الكلب وطباعه إلَّا أنَّنا نجد الجاحظ يلتفُّ على ذلك السياق ليأتي بحُكمٍ يمكن أنْ ينطبق على الإنسان والحيوان على حدٍّ سواء إذ يقول:((وشرُّ الطبائع ما تجاذبته الأعراق المتضادَّة، والأخلاق المتفاوتة، والعناصر المتباعدة)).[٣٥] ليعود بعد هذا القول ليُكمِلَ السياق المتكلم عن الحيوان:((كالراعبي من الحمام الذي ذهبت عنه هداية الحمام)).[٣٦]ولأنَّهُ ذكر البغل بوصفه

حيواناً متلون الأخلاق، نجده يأتي الى عالم الإنسان ليجد فيه ما هو شبيها بذلك، بقوله:((أو كابن المذكّرة من النساء، والمؤنث من الرجال)).[٣٧]

وهذا يؤكد لنا أنَّ الجاحظ ((لا يتركُ أيَّة فرصة تتهيء لهُ إلاّ استغلها للإنتقال من عالم الحيوان إلى عالم الانسان من خلال إيراده الأخبار والأشعار وكل ما له ارتباط بموضوع الحيوان الذي هو بصدد الحديث عنه، وحافظ في الكتاب على صفة الأديب التي عُرف بها))،[٣٨] فالإنسان هو هدف الجاحظ الأساس بكل ما يتعلق به من ثقافة ومعارف وسلوكيات. وهو المتن وما سواه يكون هامشاً يأتي لخدمته. ومما يُزيد من تأكيد هذا الرأي هو ما ذكره الجاحظُ في موضع آخر من كتابه حيث يعقد مقارنة بين الحيوان والإنسان فيقول:((وأما السّكرُ فليس شيءٌ من الحيوان إلاّ وهو يسكرُ، واختلافُ سكرِهِ كاختلافِ سكر الإنسان. فإنَّ من الناس من تراه يتحدثُ، وهو يشربُ، فلا تنكرُ منه شيئاً، حتى يغلبَ عليه نومُ السُّكرِ ضربةً واحدةً. ومنهم من تراه، والنبيذُ يأخذُ من الاولَ فالأول، وتراه كيف تقلُّ حركتُهُ، ويغلظُ حسُّهُ ويتمحَّقُ، حتى يطيشُ عليه السكر بالعبث، ويُطيق عليه النومُ، ومنهم من يأخذُه بالعبثِ لا يعدوه، ومنهم مَنْ لا يرضى بدونِ السَّيفِ، وإلاّ بأنْ يضربَ أمَّه، ويطلقَ امرأته ومنهم من يعتريه البكاءُ، ومنهم مَنْ يعتريه الضحكُ، ومنهم من يعتريه الملقُ والتفديةُ والتسليمُ على المجالس، والتقبيلث لرؤوس الناسِ، ومنهم مَنْ يرقصُ ويثبُ)).[٣٩] لا يخفى هنا أنَّ الجاحظَ قد اتخذَ من موضوعةِ سكرِ الحيوانِ وسيلةً أو حجَّةً للإنتقالِ الى ماهو أهم بالنسبة إليه ألا وهو الإنسان، وهذا يتضح من دقة عرضه لحال الإنسان الذي يكون في حالة سكر، فالجاحظُ هنا يقدمه ويصوره بمختلف أوضاعه بينما لم يأخذ الحيوان من اهتمام الجاحظ هنا سوى أنَّه وجدَهُ شبيها بالانسان من حيث السُّكر حيثُ قال:(وأما السّكرُ فليس شيءٌ من الحيوان إلاّ وهو يسكرُ)، ولم يُفصِّلْ في حالات سكر الحيوان كما فصَّل في حالات سكر الإنسان إذ أنَّ الإنسانَ هو المقصود لدى الجاحظ وهو المركز وما عداه يكون سبباً للوصول اليه.

التصنيف وزوال البنيان:

يعود الجاحظ بعد هذا الكشف المعرفي ليوجه خطابَه نحو مُخاطبِه بقوله: (وقلتَ: وما بالُ أهل العلم والنظر، ...))،[٤٠] ويكرر هذا الخطاب نحو المخاطب على مدى الكتاب ليكون الكتابُ متصلاً ومتماسكَ الموضوع، وإنِ اختلفتْ الموضوعاتُ وتنوعت في الظاهر.

ومن جانب آخر فانَّ الحيوان هو موضوع الكتاب، وهو ما يشير إليه عنوانُه، كما أشارَ البحثُ، وهو المتن الذي انبنى عليه الكتابُ، ولكنَّ الجاحظَ يلجأُ إلى الشعر العربي ليستخرج منه ما تفرَّق فيه عن الحيوان، وهو بهذا الفعل يحاول أنْ يحفظ المعارف التي يملكها العرب، إلاّ أنَّهم قد أودعوها في الشع، فهو ديوانهم، يقول الجاحظ: ((فكلُّ أمةٍ تعتمدُ في استبقاء مآثرها، وتحصين مناقبها، على ضربٍ من الضروب، وشكلٍ من الأشكال. وكانت العرب في جاهليتها تحتالُ في تخليدها، بأنْ تعتمد في ذلك على الشعر الموزون، والكلام المقفّى، وكان ذلك هو ديوانُها)).[٤١] فالعربُ لم تُصنِّفْ فيها المصنفات التي تحفظها، والتي تكون قابلة للترجمة إلى اللغات الأخرى من غير أنْ تفقد شيئاً من قيمتها الفنية. وإلى ذلك يُشير الدكتور مصطفى عبد اللطيف بقوله: ((إنَّ الجاحظ على كلِّ حالٍ أراد أنْ يؤلف كتاباً في الحيوان معتمداً على مادة علمية متفرقة في الشعر العربي)).[٤٢]

ويرى الباحثُ هنا أنَّ هذا الهدف الذي أشار إليه الدكتور مصطفى عبد اللطيف يأتي بين أهدافٍ عدَّة لنا أنْ نكتشفها كلما تمعنا في قراءة الكتاب قراءة تختلف عن أختها .

وهناك سبب أخر دعا الجاحظ الى دعوة العرب إلى تأليف المصنفات لحفظ المعارف هو أنَّنا نجد مِن الأمم أمماً تُخلِّد آثارها بالبنيان ويشير الجاحظ إلى ذلك بقوله:((وذهبتْ العجمُ على أنْ تُقيّد مآثرَها بالبنيانِ (...)، والكتبُ بذلك أولى من بنيان الحجارة وحيطان المَدر، لأنَّ من شأن الملوك أنْ يطمسوا آثار مَنْ قبلهم ، وأنْ يميتوا ذكرَ أعدائهم، فقد هدموا بذلك السبب أكثرَ المدنِ وأكثر الحصون، كذلك كانوا أيام العجم وأيام الجاهلية، وعلى ذلك هم في أيام الإسلام)).[٤٣]وهذا العبارة الأخيرة:(وعلى ذلك هم في أيام الإسلام)، تعيد إلى أذهاننا عبارته السابقة حول زياد:(وجاء المسلمون، يروي خلفٌ عن سلف، وتابعٌ عن سابق، وآخرُ عن أوَّل، أنَّهم لم يختلفوا في قول زياد:(لآخذن الوليَّ بالوليِّ،

والسميّ بالسمي، والجارَ بالجارِ).*** وهذا يعني أنَّ العرب لم يختلفوا في أفعالهم بعد الإسلام عن أيامهم في الجاهلية، كما أنَّهم لم يختلفوا عن العجم في ذلك . فالإنحراف في السلوك وأخذ البرئ بذنب غيره لا يختلف خطورة عن هدم البنيان وهدم المآثر، يقول الجاحظ :((وكانوا يجعلون الكتاب حفراً في الصخور، ونقشاً في الحجارة، وخِلقة مُركبةً في البنيان)).[٤٤]ولما كان ذلك الحفر في الصخور، وذلك النقش في الحجارة، كما يذكر الجاحظ:((تاريخاً لأمر جسيم، أو عهداً لأمر عظيم، أو موعظة يُرتجى نفعُها، أو إحياء شرفٍ يريدون تخليد ذكره، أو تطويل مدته)).[٤٥]فيكون تهديم البنيان ضياعاً لذلك كلِّه ، ضياعاً للتاريخ، والعهد، والموعظة، والشرف، وهذا لا يختلف في خطورته عن تلك السلوكيات الجاهلية التي تعبر عنها مقولة (رمتني بدائها وانسلت) لذلك كلِّه يرى الجاحظ أهمية الحفاظ على المعارف من خلال الكتب، فالشعر هنا برأي الجاحظ شكلٌ من أشكال المشافهة التي يتصدى لها الجاحظ مقابل الكتابة والتأليف التي يدعو لها .

التصنيف نثراً لحفظ تراث العرب وعلومها:

ولكي يحقق الجاحظ الهدف المتمثل بحضِّ العرب على التأليف، وترك كتب غير العرب، أو الإفادة منها الى جنب المؤلفات العربية ، نجده يُشير إلى أنَّ الشعر العربي يحوي الكثير من العلوم، وكان العلم بالحيوان واحداً منها، ولذلك فلا حاجة للعرب إلى كتاب الحيوان لأرسطو مادام الشعر العربي يحوي تلك العلوم.

إلّا أنَّ الجاحظ في الوقت نفسه لا يُعوِّل كثيراً على الشعر العربي في حفظ تلك العلوم لطبيعته الفنية التي ترتبط بالوزن، فضلاً عمَّا يحتوي عليه من سلوكيات وأعراف منافية لتعاليم الاسلام .

كما أنَّ الترجمة غير قادرة على أنْ تُوصل بدقة ما يريده صاحب المؤلَّف(أرسطو) من مؤلِّفه فـ :((الترجمان لا يؤدي أبداً ما قال الحكيم، على خصائص معانيه، وحقائق مذاهبه، ودقائق اختصاراته، وخفيَّات حدوده، ولا يقدر أنْ يوفيها حقوقها ، ويؤدي الأمانة فيها،(...) وكيف يقدر على إدائها وتسليمِ معانيها، والإخبار عنها على حقها وصدقها، إلا أنْ

يكون في العلم بمعانيها، واستعمال تصاريف الفاظها، وتأويلات مخارجها، مثلَ مؤلف الكتاب وواضعه)).[٤٦]

لقد وجد الجاحظ في هذا الأمر ما يُشجعه على مهاجمة ترجمة كتاب الحيوان لأرسطو، فأول شيء يمكن أنْ يرتكز عليه الجاحظ لإبعاد العرب عن قراءة كتاب أرسطو وجعلهم يلتفتون إلى تأليف الكتب الخاصة بهم، هو الطعنُ في صحة ترجمته، وهذا الطعن يُرجعُهُ الجاحظُ إلى أمورٍ منها أهمية ((أنْ يكون المترجمُ أعلمَ الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواء وغاية)).[٤٧] والأمر الآخر أنْ يكون المترجم بمنزلة مَنْ يُترجم له لا أنْ يكون دون منزلته، وفي هذا الصدد نجده يقول:((فمتى كان رحمه الله تعالى ابنُ البطريق وابنُ ناعمة وأبنُ قرَّة وابنُ فِهريز، وثيفيل، وابنُ وهيلي وابنُ المقفع، مثلَ أرسطوطاليس، ومتى كان خالدٌ مثلَ أفلاطون))[٤٨] ومنه تلك الإشارة إلى المترجم :((لعل المترجم قد أساء في الإخبار عنه)).[٤٩] كما أنَّ الشعر العربي وحدَهُ لا يكفي لحفظ تلك العلوم ونقلها إلى الآخرين الَّذين لا يملكون لسان العربية وذلك لأنَّ من مميزات هذا الشعر أنَّه يفقد الكثير من طبيعته إذا تمتْ ترجمته إلى لغة أخرى ((الشعر لا يُستطاعُ أنْ يُترجم، ولا يجوز عليه النقل، ومتى حوِّل تقطَّع نظمُه وبطلَ وزنُه، وذهب حُسنُه ، وسقط موضعُ التعجب، والكلام المنثور المبتدأُ على ذلك أحسنُ وأوقع من المنثور الذي تحوَّل من موزون الشعر)).[٥٠] ويقول الجاحظ:((وأما الشعر فحديث الميلاد، صغير السن)).[٥١]ويقول: ((ولو حوِّلتْ حكمة العرب، لبطل ذلك المُعجزُ الذي هو الوزن)).[٥٢] لذلك كان لزاماً على العرب أنْ يؤلفوا الكتب التي تحفظ علومهم نثراً. فـ ((الكلام المنثور المبتدأ على ذلك أحسنُ وأوقعُ من المنثور الذي تحوَّل من موزون الشعر)).[٥٣]

إنَّ ما يراه الجاحظ هو أنَّ من حقِّ العرب أنْ يؤلِّفوا الكتب في شتى موضوعات المعرفة وليس هناك ما يمنعهم، ودليل ذلك ما أورده لنفسه من كتب كثيرة، كما أنَّ الشعر وحده ليس كافيا لنقل معارفهم إلى غيرهم من الأمم، فهو غير مهيأ لذلك، لطبيعته

الفنية الخاصة به. لذلك نجده يقول:((فقد صح أنَّ الكتبَ أبلغُ في تقييد المآثر، من البنيان والشعر)).[٥٤]

وهنا أرى أنَّ هذا تحايلٌ من الجاحظ، فهو بهذه المبررات التي قدمها يحاول صرفَ أنظار العرب عن الشعر العربي نفسِه لما يحمله هذا الشعر من أعراف وانحرافات أخلاقية، وليؤسس إتجاهاً أخلاقياً جديداً ويبني أسساً معرفية تتوافق مع ما جاء به القرآن الكريم أو آداب الرسول الكريم، ويكون ذلك من خلال الدعوة إلى التصنيف .

ويشير الدكتور مصطفى عبد اللطيف إلى أنَّ الجاحظ كان ((يُعلن عن الإختراع والإبداع في كتبه دون مواربة أو تردد(...) ولعل الجاحظ كان يطالب علماء عصره بأنْ يكونوا مثله جرأة وأصالة حين يُعلن أنَّ حرية العالِم في القول لعصره كانت واسعة مكفولة، وأنَّ الإحجام عن الرأي وإظهار العلم ليس له مُسوغ))[٥٥]

وهذا ما يُؤكِّده الجاحظُ حيث يقول: ((فما ينتظر العالمُ بإظهار ما عندَه ، ويمنع الناصرَ للحقِّ من القيام بما يلزمُه، وقد أمكن القولُ وصلحَ الدهرُ وخوي نجم التَّقِيَّة، وهبَّتْ ريحُ العلماء، وكسد العيُّ والجهلُ، وقامت سوق البيان والعلم ؟))[٥٦]

الإستطرادُ بالفكاهة والسخريةِ:

وبعد أنْ نجحَ الجاحظُ في الإستطراد من الهدف المُعلن في بدء كتابه إلى أهداف مضمرة تمثلت بتفكيك المنظومة الفكرية التي يتكيء عليها الشعرُ الجاهليُّ من خلال ما يحملُهُ من سلوكيات منحرفة، كما تمثلت بالدعوة الى تصنيف الكتب باللسان العربي نثراً، والإبتعاد عن الكتب ذات اللسان غير العربي ، نجده يصل من خلال حيلة الإستطراد إلى استثمار الفكاهة والهزل في كتابه، وهذا ما يحاول البحثُ هنا الوقوف عنده ومعرفة الغاية من ورائه . ولذلك نجد الجاحظ يأتي بكلامٍ على لسان خصمه الذي يعيب عليه التأليفَ، يعدد فيه جملةً من الموضوعات التي كتب فيها الجاحظُ، من بينها موضوع الفكاهة والمُلح، ويرى الباحثُ هنا أنَّ الجاحظَ قد نجح في توظيف هذه الشخصية المُخاطَبة (بفتح الطاء)، لتكون مُسوّغاً يجعله يأتي بما يريد عرضه من أفكار دون أنْ يعترض عليه معترضٌ، وهذا يجعل المجيء بالفكاهة والهزل سلساً ويؤدي ما يريد منه الجاحظُ من

أغراض مضمرة، يقول على لسان ذلك الشخص غير المسمَّى: ((وقلتَ: وما بالُ أهلِ العلمِ والنظرِ، وأصحابِ الفِكرِ والعِبَر، وأربابِ النِّحلِ، والعلماء وأهلِ البصر بمخارجِ المِلل، وورثةِ الأنبياء، وأعوانِ الخلفاء، يكتبون كتبَ الظُّرفاء والمُلحاء، وكتب الفُراغِ والخُلعاء، وكتب الملاهي والفكاهات، وكتب أصحاب الخصومات، وكتب أصحاب المِراء، وكتب أصحاب العصبيَّة وحميَّة الجاهليَّة. ألأنَّهم لا يحاسبون أنفسهم، ولا يوازنون بين ما عليهم ولهم، ولا يخافون تصفُّحَ العلماء، ولا لائمة الأبراءِ، وشنف الأكفاء، ومَشْنأة الجلساء؟)).[٥٧] فالخصم هنا كما يقدمه الجاحظُ نفسُهُ يلومُ الذين يكتبون في الفكاهات والمُلح إلى جنب كتابتهم في موضوعات أخرى أشدَّ اللّوم، ويتضح من الأوصاف التي أطلقها عليهم أنَّها تنطبق على الجاحظِ نفسِه لذلك نجدُ الجاحظَ يردُ عليه مشيراً إلى كتابه الحيوان بقوله:((فأمَّا كتابُنا هذا، فسنذكرُ جُملَة المذاهب فيه، وسنأتي بعد ذلك على التفسير، ولعلَّ رأيَك عند ذلك أنْ يتحوَّل، وقولَك أنْ يتبدل، فتُثبِتَ أو تكونَ قد أخذتَ من التوقفِ بنصيب إنْ شاء الله)).[٥٨]

فمن الواضح أنَّ ردَّ الجاحظ هنا يوحي بأنَّه يأتي بالهزل والفكاهات والمُلح والنوادر لغايات غير ما يفهمه خصمه منها، وأنَّه سيأتي بما قد يجعل الخصم يفهم لأيِّ شيء جاءت تلك الفكاهات والمُلح والنوادر:(ولعلَّ رأيَك عند ذلك أن يتحوَّل، وقولَك أن يتبدل).

وينتقل الجاحظ بعد هذا القول إلى تقديم مبحث طويل حول أقسام الكائنات إلى نامٍ وغير نامٍ ، وتقسيم النامي إلى حيوان ونبات، وتقسيم الطير، حتى يصل بالقاريء إلى موضوع تقسيم الحيوان إلى فصيحٍ وأعجم، ليستدرج القاريءَ ويصل به إلى موضوعِ فصاحة الإنسان والفرق بين الفصيح والأعجم وبين العرب والعجم، ليصل مِنْ ذلك إلى الحديث عن وسائل البيان وأقسامه(لفظ، وخط، وعقْدٌ، وإشارة)، لنجد الجاحظ بعد هذا يستدرجنا للحديث عن كتاب الحيوان وطبيعته.[٥٩] فيقول الجاحظ:((وهذا كتابُ موعظةٍ وتعريف وتفقهٍ وتنبيه، وأراك قد عِبته قبل أنْ تقفَ على حدوده، وتتفكر في فصوله، وتعتبر آخره بأوله، ومصادره بموارده، وقد غلَّطك فيه بعضُ ما رأيت من مَزحٍ لم

تعرف معناه، ومِنْ بطالةٍ لم تطَّلع على غورها، ولم تدر لما اجتُلبت، ولا لأيّ علةٍ تُكلِّفتْ، ولأيّ شيءٍ أُريغ بها، ولأيّ جدٍّ أُحتُمِل ذلك الهزل، ولأيّ رياضة تُجُشِّمتْ تلك البطالة)).[٦٠]

فالجاحظ هنا يُصنِّفُ كتابَه ضمن كتب الموعظة والتفقه ويشير صراحةً إلى غاياتٍ وأهدافٍ متوخاة من المجيء بالهزل والبطالات والفكاهات فهي لها غورٌ وهذا يعني أنَّنا يجب أنْ لا نقبل أو نستقبل ما يجيء به الجاحظُ من فكاهات وهزل تقبُلاً سهلاً على أنَّها للإمتاع والإيناس دون أنْ نحاول التمعنَ فيها وفي ما يمكن أنْ يكون من ورائِها من غايات أو ما تحمله من دلالات، يقولُ الجاحظُ: ((ولم تدرِ أنَّ المزاح جدٌّ إذا اجتُلِب ليكون علةً للجدِّ، وأنَّ البطالة وقارٌ ورَزانة، إذا تُكلِفتْ لتلك العاقبة)).[٦١] وحول هذا المعنى قال الجاحظ في كتابه البخلاء: ((وللمزح موضعٌ، وله مقدار، متى جازهما أحدٌ، وقصّر عنهما أحدٌ، صار الفاضلُ خطلاً، والتقصيرُ نقصاً. فالناسُ لم يعيبوا الضحكَ إلّا بقدر، ولم يعيبوا المزحَ إلّا بقدر. ومتى أُريد بالمزح النفعُ، وبالضّحك الشيءُ الذي له جُعِلَ الضحكُ، صار المزْحُ جدَّاً، والضحك وقاراً)).[٦٢]

ونجد الجاحظ في موضع الكلام عن الذّبّان بعد أنْ يذكر أخباراً عن رجلٍ مكيٍّ يُشير إلى إنَّهُ سيأتي ببعض الهزل بقوله:((وكان المكيُّ طيباً، طيبَ الحُججِ، ظريفَ الحيلِ، عجيبَ العلل،... وإذ قد جرى ذكره، فسأُحدثُكَ ببعض أحاديثه، وأخبرك عن بعض علله، لِتَلهى بها ساعةً، ثم نعود إلى ذكر الذِّبَّان)).[٦٣] فالجاحظ هنا يُشير إلى أنَّه يحاول أنْ يأتي بالهزل ليُخفف عن مُخاطبه بعض ثُقل الجدّ ليلهى بالهزل ساعةً ليعود بعدها ليُكمل كلامَه حول الذّبّان وكأنّ الهزلَ هنا شيئٌ ثانويٌّ وليس له قيمة بل أنَّه مجرد محطة لإستراحة القاريء المُخاطَب. وهذا كما يرى البحث هنا، حيلةٌ يستثمرها الجاحظ لتمرير ما يريد تمريره الى قارئه، أو مخاطبه، وهو ما تؤيده النصوص التي يستشهد بها البحث وهي مبنية على الفكاهة غير البريئة.

ومن اللافت للإنتباه أنَّ الجاحظ قد يأتي متحدثاً عن الحيوان وطباعه، ولكنه لا يُضيّع الفرصة لينتقل الى الحديث عن الإنسان وطبائعه وسلوكه فيكون ما يقصده من الحديث هو الإنسان وليس الحيوان الذي يذكره في حديثه، يقول الجاحظ منتقلا من

الذبان الى الإنسان بوصفه هو الموضوع الرئيس الذي يريد التركيز عليه تحت عباءة المجيء بالهزل لمنح القاريء أو مخاطبه الذي لم يسمِّه فسحةًمن الوقت ليستريح من جدِّ القول:((ثم رجع بنا القول إلى إلحاح الذّبان: كان لنا بالبصرة قاضٍ يُقال له عبد الله بن سُوار لم يرَ الناسُ حاكماً قطُّ زمّيتاً، ولا ركيناً، ولا وقوراً حليماً، ضبط مِن نفسه، وملك من حركتهِ، مثل الذي ضبط وملكَ. كان يُصَلِّي الغداةَ في منزلهِ، وهو قريب الدار من مسجده)).[٦٤] لا يخفى ما يتصف به هذا القاضي من وقارٍ وحلْمٍ وسكينةٍ ، وضبطٍ لنفسه، وملك من حركته. فالجاحظ يُصوِّرُ لنا شخصيةً تطغى عليها الصبغة الجدّية، إلاّ أنّ هذه الصبغة إذا زادتْ عن الحد فإنّها لا بُدَّ من أن تستحيل إلى صبغة هزلية تُثير الضحك[٦٥] إذ نجد أنفسنا أمام إنسانٍ مُتصلِّبٍ متخشبٍ تسيطر عليه الآلية التي تتعارض مع تلقائية الحياة فنحن هنا((بإزاء آلة في كائن حي، بإزاء شيء مضحك)).[٦٦] كما يقول هنري برجسون في كتابه الضحك، فهذا القاضي الذي يذكره الجاحظ شخصٌ متخشب كما يصفه بقوله:((يأتي مجلسَه فيحتبي، ولا يّتكيءُ، فلا يزال منتصباً لا يتحرّك له عضوٌ، ولا يلتفتُ ولا يحلُّ حبوتَه، ولا يحلُّ رِجلاً على رِجلٍ ، ولا يعتمد على أحد شِقَّيْه، حتى كأنّه بناءٌ مبنيٌّ، أو صخرةٌ منصوبةٌ، فلا يزال كذلك حتى يقوم إلى صلاة الظهر، ثم يعودُ إلى مجلسه، فلا يزال كذلك حتى يقوم إلى العصر، ثم يرجع لمجلسِه، فلا يزالُ كذلك حتى يقومَ لصلاة المغرب، ثم ربّما عادَ إلى محلَّه))[٦٧] فالجاحظ هنا يصف إنساناً مثيراً للضحك، إنساناً ساكناً متصلباً تصلباً وهذا ما يدعو الى إثارة الضحك لدى المتلقي. وكما نجد أنفسنا أمامَ سكونٍ مضحك فهناك من الحركات ما تثير الضحك ، فكلاهما يمكنهما أن يثيرا الضحك ما داما مرتبطين بالإنسان، فالمضحك دائماً هو الإنسان سواء في أشكاله أو حركاته أو كلماته، وأنَّ مثار الضحك في هذه الأشياء هو مخالفتها- على نحو ما- للأوضاع الطبيعية والاجتماعية. وهذا ما يؤكده برجسون حينما يرد الضحك على نحو جوهري إلى الجمود أو الآلية التي تتعارض مع تلقائية الحياة وبساطتها وعفويتها، ويأتي الضحك ليرد الأمور إلى نصابها وليُنبه الآخرَ ليعود إلى تلك التلقائية والبساطة

والعفوية ، فهو يمثل نوعاً من القِصاص، إذ يجعلنا نحاول أنْ نظهر بما ينبغي أنْ نكونه، فتلك الآلية أو الصلابة هي المُضحك، والضحكُ قصاصُها.(٦٨)

فالضّحك وسيلة فعالة لتصحيح – أو تعديل – تلك الآليات الضارة التي تنطوي على حياتنا الاجتماعية العادية بإظهارنا على ما فيها من سُخفٍ وعبث وتفاهة ، فالضحك يقوم بدور المُقوَّم الاجتماعي الذي يتطلب من كلَّ فرد منا حظّاً غير قليل من المرونة والتكيف مع الحياة والانصراف عن الآليات الضارة.(٦٩)

بعد أن وصفَ الجاحظُ سكونَ القاضي نجده يعقب ذلك بوصفٍ لحركاته التي أُضطرّ إلى القيام بها اضطرارا لسببٍ يوضحه في المقطع الآتي فيقول:((فبينما هو كذلك ذات يوم، وأصحابُه حواليْه، وفي السماطين بين يديْه ، إذ سقطَ على أنفه ذبابٌ))(٧٠) ونحن أمام هذا الوصف الذي يقدمه الجاحظ للقاضي نتساءل: كيف سيتخلص القاضي من هذا الذّباب وإلحاحهِ وقد تقدّمَ الجاحظُ بوصف وقاره وقلّه حركته؟ وهنا يعرض الجاحظ أمام قارئه مشهداً للذباب وهو يتحرك ويعبث بذلك القاضي فيقول:((فأطالَ المكثَ ثم تحوّل إلى مُؤْقِ عينيْه، فرامَ الصّبرَ في سقوطه على المؤقِ، وعلى عضه، ونفاذ خرطومه، كما رامَ من الصّبرِ على سقوطهِ على أنفه، من غير أنْ يحرّك أرنبته، أو يغّضن وجهَه، أو يذبَّ بإصبعه، فلما طالَ ذلك عليه من الذباب وشَغَلَه، وأوجَعَه، وأحرقه، وقصد إلى مكانٍ لا يحتملُ التغافلُ، أطبق جفنَه الأعلى على جفنه الأسِفل، فلم ينهضْ، فدعاه ذلك إلى أنْ يوالي بين الإطباق، والفتح فتنحّى ريثما سكنَ جفنُه، ثم عادَ إلى مؤقه، بأشد من مرّته الأولى، فغمسَ خرطومَه في مكانٍ كان قد أوهاه، قبل ذلك، فكان احتمالُه وعجزه عن الصبر عليه في الثانية أقلّ، فحرّك أجفانَهُ، وزادَ في شدّة الحركة، وألحّ في فتح العْينِ، وفي تتابع الفتح والإطباق، فتنحّى عنه بقدرِ ما سكنتْ حركتُه، ثم عادَ الى موضعه)).(٧١) نلاحظ في هذا المقطع دقة وصف الجاحظ لحركات الذباب الى جانب وصفه لما يقوم به القاضي من حركات متمثلة بإطباق الجفنين وفتحهما متحاشياً تحريك يديه للتخلص مما هو فيه، إلاّ أنّهُ وصلَ إلى حالٍ أُضْطرَّ معها إلى ذلك، يقل الجاحظُ ((فما زال يلحُّ عليه حتى استفرغَ صبره، وبلغَ مجهودَه، فلم يجدْ بداً من أنْ يذبّ عن عينه

بيدِه، ففعل وعيونُ القومِ إليه ترمقُهُ، وكأنّهم لا يُريدونه، فتنحّى عنه بقدر ما ردّ يده، وسكنتْ حركتُه، ثم عادَ إلى موضعه، ثم ألجأه إلى أنْ ذبَّ عن وجهه بطرف كُمَّه، ثم ألجأه إلى أن تابعَ بين ذلك)).[٧٢]نلاحظ في هذا المقطع تدرجَ الجاحظ في وصف حركات القاضي بدءاً بوصف التصلب والسكون الذي كان عليه مروراً بوصف تحريكه لأجفانه، ثم لجوئه إلى أنْ يذبَّ عن عينيه بيديه. حتى أُضطُرَّ إلى أنْ يذبَّ عن وجهه بطرف كُمَّه، ويتابع بين ذلك، ولا يخفى ما في هذا الوصف من قدرة على إثارة الضحك لما يعتمد عليه من عرض لحركات تصدر عّمن عُرِفَ بتصلُبِهِ بين مَنْ هم بحضرته، فضلاً عن المفارقة الناجمة عن ذلك التدرج في الوصف من السكون التام الى حركة الذّبَّ عن الوجه بطرف الكُمَّ والمتابعة بين ذلك.

لا ننسى أنَّ الجاحظ عندما جاء بهذه الحكاية عن قاضي البصرة لم يشر الى أنَّه يتحدث عن القاضي بل أنّه قال:((ثم رجع بنا القول إلى إلحاح الذّبان)، وكأنَّ المقصود هنا هو الذبان والحاحه ليكون ما يأتي به منسجماً مع عنوان الكتاب بوصفه متناً لا يخرج عليه إلا أننا نلاحظ أنَّ الجاحظ ينتقل إلى إيراد حكاية فيها تصوير دقيق ومضحك لما كان عليه القاضي من سكون وما جاء به من حركات بعد الحاح الذبان عليه فهو في كلتا الحالتين اصبح مثار تندر وضحك الحاضرين . ويأتي الجاحظ ليؤكد مقصده الذي لم يعلن عنه بشكل صريح بقوله متمما الحكاية: ((وعلم أنَّ فعله كلَّه بعين من حضره من أمنائه وجُلسائه ، فلما نظروا إليه قال : أشهد أنَّ الذباب الحُّ من الخنفساء، وأزهى من الغراب، واستغفر الله، فما أكثر مَنْ أعجبته نفسُه، فأراد الله عز وجلَّ أنْ يُعرّفه من ضعفه، ما كان عنه مستوراً، وقد علمتُ أنّي الناس، فقد غلبني أضعف خلقه، ثم تلا قوله تعالى:(وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)،[٧٣]وكان بيّن اللسان، قليل فضول الكلام ، وكان مهيباً في اصحابه)).[٧٤]

فنحن هنا نكون أمام صورة من صور الذين يكونون متخشبين وساكنين وخارجين عن الطبيعة الإنسانة، وبوصف القاضي ركناً من أركان الدولة يقيم فيها حكومة العدل والإنصاف بين الناس، وهذا ما ركز عليه الجاحظ وحاول أنْ يسلط عليه أضواءه

الكاشفة ليشخِّص خللاً في سلوك أحد أركان الدولة ولكنَّه التجأ الى الهزل والسخرية ليعبر عن ذلك متخذاً الذبابَ وسيلةً لذلك. ونجد الجاحظ يأتي بموقف ظريف حدث معه هو يُشبه ما حدث مع القاضي البصري من إلحاح الذباب، ويختم حكايته بقوله لمن يسأله عن ذلك:((فتلقاني الأندلسيُّ، فقال لي: ما لك يا أبا عثمان؟ هل من حادثةٍ ؟ قلتُ: نعم أريد أنْ أخرج من موضع، للذبان عليَّ فيه سلطانٌ، فضحك حتى جلس)).[٧٥] فالجاحظ هنا نجح في أنْ يُحوِّل الأنظار إلى سلوكٍ من سلوكيات الإنسان ويُحلّ الانسانَ محلَ المتن والمركز ويُغير موضع الحيوان الى الهامش رغم أنَّ الكتاب يحمل أسمه، ويدور حوله في ظاهر الأمر.

وهذا الذي طرحه البحث هنا لا يمنع من القول إنّ الجاحظ عندما يأتي بما يخص الذباب أو غيره من الحيوان من حكايات يكون الإنسان هو المقصود منها لا يمنع ذلك أنّه يستشهد به لبيان قدرة الله تعالى وحكمته إلى جنب ما ذكرناه من أهداف، وهذا ما نجده متفرقا في أكثر من موضع في كتابه، ومن ذلك ما ذكره وهو يتحدث عن أجناس الذباب موجهاً كلامه الى القاريء بقوله:((أُصيك أيُّها القاريءُ المتفهّم ، وأيُّها المستمعُ المُنصتُ المصيخُ، أنْ لا تحقرَ شيئاً أبداً لِصغر جثته ، ولا تستصغرَ قدره لقلّةِ ثمنٍ ثمَّ اعلم أنَّ الجبلَ ليس بأدلَّ على الله من الحصاة، ولا الفلك المشتمل على عالمنا هذا، بأدلَّ على الله من بَنِ الإنسان، وأنَّ صغيرَ ذلك ودقيقه، كعظيمه، وجليله، ولم تفترقْ الامور في حقائقها، وإنَّما افترقَ المفكرون فيها))[٧٦] وقال في موضع آخر:((فأمَّا خلق البعوضةِ والنملة والفراشة والذَّرّة والذّبَّان والجِعْلان، واليعاسيب والجراد – فإيَّاك أنْ تتهاونَ بشأن هذا الجُند، وتستخف بالآلة التي في هذا الذّرء، فربَّتَ أمة قد أجلاها عن بلادها النملُ، ونقلها عن مساقِطِ رؤسها الذّرُّ، وأُهلكت بالفأر، وجُرِدتْ بالجرادِ، وعُذِّبتْ بالبعوض، وأفسد عيشها الذّبان، فهي جندٌ إنْأراد الله عز وجلَّ أنْ يهلك بها قوماً بعدَ طُغيانِهم وتجبرهم وعُتوّهم، ليعرفوا أو ليُعرفَ بهم أنَّ كثيرَ أمرِهم، لا يقوم بالقليل من أمر الله عزَّ وجلَّ. وفيها بعدُ مُعتبرٌ لمن اعتبر، وموعظةٌ لمن فكَّر، وصلاحٌ لمن استبصر، وبلوى ومحنة، وعذابٌ ونقمة، وحجَّة صادقةٌ، وآيةٌ واضحةٌ، وسببٌ الى الصبر والفكرة. وهما جِماع الخير

في باب المعرفة والاستبانة، وفي باب الاجر وعِظم المثوبة))[٧٧] فلا يخلو ما يطرحه الجاحظ هنا من أن يكون خطاباً وعظياً يستند الى الإقرار بعظمة الخالق عز وجل ويذكرنا بقوله السابق الموجه الى مخاطبه حينما قال:((وهذا كتابُ موعظةٍ وتعريف وتفقهٍ وتنبيه، وأراك قد عِبته قبل أنْ تقفَ على حدوده، وتتفكر في فصوله، وتعتبر آخره بأوله، ومصادره بموارده))[٧٨]

وقد يأتي الجاحظ بخبر حول الذباب إلا أنّه لا يقصد فيه الهزل والفكاهة بقدر ما يقصد أنْ ينتقد وضعاً منحرفاً عن جادة العدل والرأفة مع الرعية وهذا ما يتضح مما ينقله الينا الجاحظ بقوله: ((وبسقوط الذِّبَّان على البعير يحتال الجمَّال للسُّلطان، إذا كان قد تسخَّرَ إبلهُ وهو كاره، وإذا كان في جماله الجملُ النفيسُ أو الناقةُ الكريمة، فإنَّه يعمدُ إلى الخضخاض فيصبُّ فيه شيئاً من دبس ثم يطلي به ذلك البعير، فإذا وجد الذّبّان ريحَ الدِّبس تساقطنَ عليه، فيدَّعي عند ذلك أنَّ به غُدَّة ويجعلُ الشاهدَ له عند السُّلطان ما يوجد عليه من الذِّبان، فما أكثر ما يتخلصون بكرائم أموالهم بالحيل من أيدي السُّلطان، ولا يظنُّ ذلك السُّلطانُ إلا أنَّه متى شاء أن يبيعَ مائةَ أعرابيٍّ بدرهم فعل)).[٧٩] ولا يخفى ما يحتويه هذا النص من نقدٍ لسلوك السلطة مع رعاياها، ذلك السلوك الذي يتمثل بإستغلال عامة الناس، والتعدي على حقوقهم، الأمر الذي يجبرهم على الإحتيال لدرء الضرر عنهم وعن ارزاقهم، وهكذا نلاحظ كيف أنَّ الجاحظَ يستثمر موضوعة الحيوان ويوظفها لتحقيق أكثر من غاية، لتكون هذه الموضوعة وسيلةً لتحقيق هدف آخر غير ذلك الهدف الذي قد يُفهم من عنوان الكتاب، ليُعلي ما هو هامشٌ فيجعله يحتل المركز.

إنَّ للاستطراد لدى الجاحظ قيمة ثقافية معارضة تتوسل بالسخرية وباللاجدية لكي تمرر معارضتها للنسق المهيمن او المتن الثقافي المؤسساتي المهيمن، ومن ثم فان الجاحظ يتوسل بالاستطراد لكي يتمكن من العبث بذلك المهيمن دون ملاحظة من الرقيب الثقافي المؤسساتي.[٨٠] ومما تجدر الإشارة اليه هو أنَّ الجاحظ قد ((حافظ (...) في كتابه الحيوان على منهج المزج بين الجد والهزل وهو منهج عُرف به وسار عليه من جاء بعده من أعلام

التراث الأدبي العربي))[٨١] إلاّ أنَّ الباحثَ هنا قد ذكرَ في طيات هذا البحث إنَّ المجيْ بالفكاهة والهزل من قِبل الجاحظ لم يكن لغرض امتاع القاريء ومؤانسته واستمالته لدفع السأم عنه ولتنشيطه ليتمم القراءة فقط بل كان وراء ذلك المجيء غاياتٌ وأهدافٌ، قد أشار اليها البحثُ في مواضعها، الى جنب ما أعلنه الجاحظُ نفسُه من أهداف.

وهذا التحايل المتمثل بمحاول الجاحظ استثمار الإستطراد لأغراض أخرى يدعونا بوصفنا باحثين الى فحص تراثنا الأدبي بعينٍ ناقدة محاولين استنطاق النصوص للوقوف على ما لم يعلنه الكاتبُ بشكلٍ مباشرٍ وصريحٍ، وما يدعونا الى قول هذا وتأكيده هو ما يحفل به ذلك التراث من إشارات وتأكيدات لكتابه وأدبائه أنَّهم يلجأون الى الإستطراد من خلال إيراد الفكاهة والهزل من أجل إيناس القاريء وهذا كثير في ترثنا الأدبي ولذا فمن المهم جداص إعادة النظر في تلك المقولة ومحاولة إجلاء ما تنطوي عليه من مضمر قد يكمن وراءها، ومن ذلك ما قاله ابن قتيبة في كتابه عيون الأخبار((ولم أُخلِه مع ذلك من نادرة طريفة وفطنة لطيفة وكلمة مُعجبة وأخرى مضحكة لئلا يخرج عن الكتاب مذهبٌ سلكه السالكون وعَروضٌ أخذ فيها القائلون، ولأروّح بذلك عن القاريء من كدِّ الجدِّ وإتعاب الحق فإنّ الأذن مجَّاجة وللنفس حَمْضَةٌ)).[٨٢]ومن أولئك الأعلام الذين تأثروا بطريقة الجاحظ في الكتابة أبو حيان التوحيدي الذي نجده متوجهاً إلى قارئ البصائر والذخائر بقوله:((فإنّكَ مع النشاط والحرص ستُشرف على رباض الآداب وقرائح العقول، من لفظ مصون وكلامٍ شريف(...) وإيقاع مؤنس، ونادرةٍ مُلهيةٍ، وعقلٍ مُلَقّح، وقولٍ مُنَقَّحٍ، وهزلٍ شيبَ بجدٍّ، وجدٍّ عُجنَ بهزل)).[٨٣] ويرى بذلك وسيلة من وسائل المعرفة التي لا ينبغي التغافل عنها:((إيّاكَ أنْ تعافَ سماعَ الأشياء المضروبة بالهزل الجارية على السُّخف، فإنّك لو أضربتَ عنها جملةً لنقص فهمُكَ ، وتبلد طبعُكَ ولا يفتق العقلَ شيءٌ كتصفّحِ أمور الدنيا ومعرفة خيرها وشرها ، وعلانيتها وسرها)).[٨٤] وفي موضع آخر نجد يقول:((فإنّك متى لم تُذقْ نفسك فرحَ الهزل، كربها غمُّ الجدّ)).[٨٥] وهذا قريب مما قاله ابن الجوزي:((فلما كانت النفس تملَّ الجَّد لم يكن من بأسٍ

بإطلاقها في مزاجٍ ترتاحُ به)).[٨٦] أما الحريري فقد أشار في مقدمة مقاماته الى ذلك بقوله:((وأنشأتُ - على ما أعانيه من قريحةٍ جامدةٍ، وفطنةٍ خامدةٍ، ورويَّةٍ ناضبةٍ وهمومٍ ناصبةٍ - خمسينَ مقامةً، تحتوي على جدَّ القول وهزله، ورقيق اللفظ وجزله)).[٨٧] فمن الواضح جداً أنَّ أغلب الأدباء العرب القدامى يجعلون ورود الإستطراد متمثلاً بالفكاهة والهزل متصلاً بهدف الترويح عن القاريء وإمتاعه وإيناسه، ولا يعلنون ما يمكن أنْ يكون وراء هذا التوظيف من أهداف مضمرة، إذ أنَّ كشف ذلك المضمر يكون على عاتق الدارسين والباحثين.

ولا نكون مبالغين إذا ما قلنا إنَّ((الهزل أحسن وسيلة للتعبير عن الرأي في أمور لا يُتاح التعبير عنها صراحةً))[٨٨] فهو يُستعمل بوصفه وسيلة من وسائل التعريض بوضع قائم لا يمكن رفضه والتمرد عليه بشكل مباشر وصريح فغالباً ما يكون ((العدوان الصريح نحو الأفراد الذين هم في السلطة، والذين نخشاهم ونزدريهم في الوقت نفسه، هو أمر غير مسموح به، ولذلك تقدم الفكاهة نوعاً من الإشباع غير المباشر)).[٨٩]

خاتمة البحث ونتائجه:

وختاما لا بدَّ من القول إنَّ ما قدَّمه الباحث هنا لا يعدو إلا أنْ يكون قراءة لجانبٍ من جوانب أدب الجاحظ الثري والغنيُّ الذي يجد الباحثون فيه بحراً مليئاً بالأسرار وبالمكتشفات كلما حاولوا الغوصَ في أعماقه ولا يجد الباحثُ هنا كلاماً يصدقُ على هذا المعنى خيراً من قول الجاحظِ نفسه واصفاً كتابه:((لأنّه وإنْ كان كتاباً واحداً، فإنّه كتب كثيرة وكلُّ مُصْحَفٍ منها فهو أُمٌّ على حِدَةٍ، فإنْ أراد قراءة الجميعِ لم يطلْ عليه البابُ الأول حتى يهجمَ على الثاني، ولا الثاني حتى يهجمَ على الثالثِ، فهو أبداً مستفيدٌ ومستطرفٌ، وبعضُه يكونُ جَماماً لبعضٍ، ولا يزال نشاطُهُ زائداً. ومتى خرج من آيِ القرآنِ صارَ إلى الأثرِ، ومتى خرجَ من أثرٍ صارَ إلى خبرٍ، ثم يخرجُ من الخبر الى شعرٍ، ومن الشعر الى نوادرَ، ومن النوادرِ إلى حكمٍ عقليةٍ ومقاييسَ سِدادٍ، ثم لا يتركُ هذا البابَ. ولعلَّه أن يكون أثقلَ، والملالُ إليه أسرعُ، حتى يُفْضِيَ به إلى مزجٍ وفكاهةٍ، وإلى سُخفٍ وخرافةٍ، ولست أراه سُخفاً إذ كنتُ إنَّما استعملتُ سيرةَ الحكماءِ وآدابَ العلماءِ)).[٩٠] ومن أهم النتائج التي توصل البحث اليها أنَّ الجاحظ حاول من خلال كتابه (الحيوان)، أنْ يجعل الهامش متناً ويبرّزه ، بل أنَّه عمل على جعل الهامش سيداً على المتن نفسه، وذلك من خلال تقنية فنية هي الاستطراد الذي لا يعني الانتقال من الجد الى الهزل لتنشيط القاريء وحثه على مواصلة القراءة فحسب ، بل أنَّ الاستطراد هنا وسيلة لجعل الهامش متناً، وتقديم منظومة معرفية جديدة، بعد أنْ يقوم الجاحظ بتفكيك الشعر الجاهلي وفضح ما فيه من أعراف وسلوكيات مرفوضة، يقدمها الشعر الجاهلي تحت غطاء ما هو جمالي. ليُرسِّخ الجاحظ منظومة أخلاقية سلوكية جديدة، معتمدةً الأخلاق الإسلامية، ورفض الجملة الثقافية التي أقرها الشعر الجاهلي التي تقول: (رمتني بدائها وانسلت) لتقوم بدلاً عنها الجملة الثقافية الاسلامية: (لا تزرُ وازرة وزر أخرى).

الهوامش:

(١) محمد بن مكرم بن منظورالافريقي، لسان العرب، دار صادر– بيروت، ص٢٦٨ ج ٣، مادة: (طرد).

(٢) أبو اسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، المتوفى عام ٤٥٣ من الهجرية، زهر الاداب وثمر الألباب، مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم الدكتور زكي مبارك، حققه وضبطه محمد محي الدين عبدالحميد، دار الجيل، بيروت لبنان، ط ٤، ج ٤، ص١٠٨٥ .

(٣) أبو اسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الاداب، ج٤، ص١٠٨٥.

(٤) عمرو بن بحر، الجاحظ، رسائل الجاحظ الادبية، علي أبو ملحم، ص٤٧٢.

(٥) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون ،ج٣، ص٧.

* المزوجة، كما جاء في كتاب الحيوان، طبعة داروكتبة الهلال، تحقيق د. يحيى الشامي، ج٣، ص٣٦٥.

(٦) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج٣، ص٢.

(٧) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج١، ص١٠.

(٨) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج١، ص٣ .

(٩) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج ١ ص٣-٩.

(١٠) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج١، ص٩-١٠.

(١١) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج ١، ص١٣-١٥ .

(١٢) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، ج١، ص١٦.

(١٣) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، ج١، ص١٧.

(١٤) سورة الزمر، الآية ٧.

(١٥) يُنظر: عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج١، ص١٦.

(١٦) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج١، ص١٧-١٨.

(١٧) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج١، ص١٨.

(١٨) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج١، ص١٩.

(١٩)، (٢٠)، (٢١) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج١، ص٢٠.

(٢٢) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج ١، ص٢١-٢٢.

(٢٣)، (٢٤) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج١، ص١٦.

(٢٥) محمد بن مكرم بن منظوربن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٢٦٨، مادة: (طرد).

* * جاء في كتاب البيان والتبيين للجاحظ أنَّ زياد بن أبيه خطب في الناس خطبته البتراء وقال فيها:((وإنّي أقسمُ بالله لآخذنَّ الوليَّ بالوليَّ، والمقيم بالظاعن، والمُقبل بالمدبر، والمطيع بالعاصي، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم ، حتى يلقى الرجلُ منكم أخاه فيقول: أنْجُ سعد فقد هلك سعيدٌ، أو تستقيمَ لي قناتُكم ... فقال إليه أبو بلال مِرداس بن أُديَّة، وهو يهمس ويقول: أنبأنا الله بغير ما قلتَ: فقال:(وإبراهيم الذي وفَّى. ألاّ تزرُ وازرةٌ وزرَ أخرى. وأنْ ليس للإنسان إلاّ ما سعى). وأنتَ تزعُم أنَّك تأخذ البريئ بالسقيم، والمطيعَ بالعاصي، والمُقبل بالمدبر ...)): عمرو بن بحر، الجاحظ، البيان والتبيين: ج ٢، ص٦٢ -٦٣ .

(٢٦)، (٢٧) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج١، ص٢٤.

(٢٨) محمد عابد، الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١٠، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٥٩.

(٢٩) محمد عابد، الجابري، تكوين العقل العربي، ص٦٤.

(٣٠) محمد عابد، الجابري، تكوين العقل العربي، ص٥٩.

(٣١) يُنظر: عبد الله، الغذامي، النقد الثقافي، ص٢٢٤.

(٣٢) ينظر: محمد عابد، الجابري، تكوين العقل العربي، ص٦٩.

(٣٣) ينظر: عبد الله، الغذامي، النقد الثقافي، ص٢٢٤.

(٣٤)، (٣٥)، (٣٦) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج١، ص١٠٢.

(٣٧) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج١، ص١٠٣.

(٣٨) ناجح سالم، المهنا، الفكاهة والهزل في كتاب الحيوان للجاحظ، مجلة الخليج العربي، مج (٤٠)، العدد (٣-٤) لسنة ٢٠١٢، ص٥٩.

(٣٩) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، شرح وتحقيق يحيى الشامي، دار ومكتبة الهلال، مج١، ج٢، ص[٢٣].

(٤٠) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج١، ص٢٥.

(٤١) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج١، ص٧١-٢٧.

(٤٢) مصطفى عبد اللطيف، جياووك، هدف الجاحظ من تأليف كتابه الحيوان والبيان والتبيين، مجلة الخليج العربي، السنة الرابعة عشرة، المجلد الثامن، العدد ١-٢، ١٩٨٦، ص٤٤.

(٤٣) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام ج١، ص٧٢-٧٣.

*** راجع هامش رمز** ص ٨ من البحث .

(٤٤)،(٤٥) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج١، ص٦٨.

(٤٦) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، ج١، ص٧٥-٧٦.

(٤٧)، (٤٨) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج ١ ص ٧٦.

(٤٩) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج٢، ص٥٢.

(٥٠) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج١، ص٧٥.

(٥١) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج١، ص٧٤.

(٥١)،(٥٢)،(٥٣)،(٥٤) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج١، ص٧٥.

(٥٥) مصطفى عبد اللطيف، جياووك، هدف الجاحظ من تأليف كتابه الحيوان والبيان والتبيين، مجلة الخليج العربي، السنة الرابعة عشرة، المجلد الثامن، العدد ١-٢، ١٩٨٦، ص٤٠.

(٥٦) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام، ج١، ص٨٦-٨٧.

(٥٧)،(٥٨) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبد السلام، ج١، ص٢٥.

(٥٩) يُنظر: عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج١، ص٢٧-٣٧.

(٦٠)،(٦١) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج١، ص٣٧.

(٦٢) عمرو بن بحر، الجاحظ، البخلاء، ضبطه وشرحه وصححه: أحمد العوامري بك وعلي الجارم بك، ج١، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٨، ص٢٩-٣٠.

(٦٣) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج٣، ص٣٢٥-٣٢٦.

(٦٤) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج١، ص٣٤٣-٣٤٥، وعمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق يحيى الشامي، مج١، ج٣، ص٤٧٨.

(٦٥) جلين، ويلسن، سيكولوجية الفكاهة والضحك، ترجمة: د. زكريا إبراهيم ، ص١٢٩.

(٦٦) هنري برجسون، الضحك، بحث في دلالة المضحك، تعريب: سامي الدروبي، وعبد الله الدائم، دار العلم للملايين، ط٣، ١٩٨٣، ص٦٦.

(٦٧) جلين، ولسن، سيكولوجية الفكاهة والضحك ج ٣، ص ٣٤٣. وعمرو بن بحر، الجاحظ،الحيوان، تحقيق يحيى الشامي،مج١، ج٣، ص٤٧٨.

(٦٨) هنري برجسون، الضحك، ص٢٥- ٣٣.

(٦٩) يُنظر: جلين ولسن، سيكولوجية الفكاهة والضحك ، ص٧٠.

(٧٠) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج٣، ص٣٤٤. وعمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق يحيى الشامي، مج١، ج٣، ص٤٧٩.

(٧١) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج٣، ص٣٤٤-٣٤٥. عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق يحيى الشامي، مج١، ج٣، ص٤٧٩.

(٧٢) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج٣، ص٣٤٥. عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق يحيى الشامي، مج١، ج٣، ص٤٧٩.

(٧٣) (سورة الحج، الاية: ٧٣).

(٧٤) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج٣، ص٣٤٥. وعمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق يحيى الشامي مج١، ج٣، ص٤٧٩.

(٧٥) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج٣، ص٣٤٦. وعمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق يحيى الشامي، مج١، ج٣، ص٤٧٩-٤٨٠.

(٧٦) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج٣، ص٢٩٨-٢٩٩. وعمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق يحيى الشامي، ج٣، ص٤٦٣.

(٧٧) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج٣، ص٣٠٣ -٣٠٤. و عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق يحيى الشامي، مج٢، ج٣، ص٤٦٥.

(٧٨) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج١، ص٣٨.

(٧٩) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام، ج٣، ص٣٠٧-٣٠٨.

(٨٠) ينظر: عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، ص٢٢٦.

(٨١) ناجح سالم، المهنا، الفكاهة والهزل في كتاب الحيوان للجاحظ، مجلة الخليج العربي، مج٤٠، العدد (٣-٤)، لسنة ٢٠١٢، ص٥٩.

(٨٢) عبد الله بن مسلم، ابن قتيبة، عيون الاخبار، المقدمة، ص[ل]

(٨٣) أبو حيان، علي بن محمد بن العباس، التوحيدي، البصائر والذخائر: مج١، ج١، ص٢-٣.

(٨٤)،(٨٥) أبو حيان، علي بن محمد بن العباس، التوحيدي، مج١، ج١، ص٥٥ .

(٨٦) عبد الرحمن بن محمد، ابن الجوزي، أخبار الظرّاف والمتماجنين، تحقيق: علي الخاقاني، مطبعة البصري، ١٩٦٦، ص١ .

(٨٧) القاسم بن علي بن محمد بن عثمان أبو محمد، الحريري، شرح مقامات الحريري، أبو العباس احمد عبد المؤمن القيسي، الشريشي، تحقيق: محمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ج١، ص٢٩.

(٨٨) شاكر عبد الحميد، الفكاهة والضحك - رؤيا جديدة، سلسلة عالم المعرفة، العدد: ٢٨٩، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب – الكويت، يناير، ٢٠٠٣، ص٢٨٤.

(٨٩) جلين ويلسون، سيكولوجية فنون الأداء، ص٢٥٠.

(٩٠) عمرو بن بحر، الجاحظ، الحيوان، تحقيق يحيى الشامي، مج١، ج١، ص٥٩.

المصادر:

القرآن الكريم.

- إبن الجوزي، عبد الرحمن بن محمد، ت ٥٩٧هـ، أخبار الظرّاف والمتماجنين، تحقيق: علي الخاقاني، مطبعة البصري، ١٩٦٦.

- إبن قتيبة، عبد الله بن مسلم، المتوفى سنة ٢٧٦ هـ، عيون الأخبار، المجلد الاول، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.

- الافريقي، محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر– بيروت.

- برجسون، هنري، الضحك، بحث في دلالة المضحك، تعريب: سامي الدروبي، وعبد الله الدائم، دار العلم للملايين، ط٣، ١٩٨٣.

- التوحيدي، أبو حيان، علي بن محمد بن العباس، البصائر والذخائر، تحقيق: الدكتورة وداد القاضي، دار صادر – بيروت، ط٤، ١٩٩٩.

- الجابري، محمد عابد، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط: ١٠، بيروت، ٢٠٠٩.

- الجاحظ، البخلاء، ضبطه وشرحه وصححه: أحمد العوامري بك وعلي الجارم بك، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٣٨.

- الجاحظ، أبو عثمان بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون

- الجاحظ، أبو عثمان بن بحر، الحيوان، شرح وتحقيق، عبد السلام محمد هارون، ط٢، ١٩٦٥.

- الجاحظ، أبو عثمان بن بحر، الحيوان، شرح وتحقيق الدكتور يحيى الشامي، دار ومكتبة الهلال، المجلدين الأول والثاني، ٢٠٠٣.

- الجاحظ، أبو عثمان بن بحر، الرسائل الأدبية، رسائل الجاحظ، قدم لها وبوبها وشرحها د. علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال، الطبعة الاخيرة، ٢٠٠٢.

- الحريري، مقامات الحريري، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٥.

- عبد الحميد، شاكر، الفكاهة والضحك - رؤيا جديدة، سلسلة عالم المعرفة، العدد: ٢٨٩، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب – الكويت، يناير، ٢٠٠٣.

- الغذامي، عبد الله، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، ط٣، ٢٠٠٥، لبنان – بيروت.

- القيرواني، أبو اسحاق إبراهيم بن علي الحصري المتوفى عام ٤٥٣ من الهجرية، زهر الاداب وثمر الألباب، مفصل ومضبوط ومشروح بقلم المرحوم الدكتور زكي مبارك، حققه وضبطه محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت لبنان، ط ٤.

- ويلسون، جلين، سيكولوجية فنون الأداء، ترجمة: د. شاكر عبد الحميد، مراجعة: د. محمد عناني،سلسلة عالم المعرفة، العدد: ٢٥٨، المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب،الكويت، يوليو، ٢٠٠٠.

المجلات:

- جياووك، مصطفى عبد اللطيف، هدف الجاحظ من تأليف كتابه الحيوان والبيان والتبيين، بحث منشور في: مجلة الخليج العربي، السنة الرابعة عشرة، المجلد الثامن، العدد ١-٢، ١٩٨٦.

- المهنا، ناجح سالم موسى، الفكاهة والهزل في كتاب الحيوان للجاحظ، بحث منشور في مجلة الخليج العربي، مج (٤٠)، العدد(٣-٤) لسنة ٢٠١٢.